معوّبتر يرضى باليسير منه ولم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معوّبتر كلا بل يفعله بطبعه ونيّاً ذي بباطنه وظاهره وامّا قوله
الا ان يرجع الى امّه وتصحّح نسبه وكل اباء ينضح بما فيه ثم جاء ابنه بعد مختم تلك الاعمال السيّئة بما ختم والى الله
ترجع الامور الاصل ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس رحمه الله وكان ابن عباس يقول ما انتفعت
بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام امّا بعد فان المرء قد يسرّه درك ما لم
يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن اسفك على ما فاتك
منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا وليكن همك فيما بعد الموت
الشرح يقول ان كل شيء يصيب الانسان في الدنيا من نفع وضر فبقضاء من الله وقدره لكن الناس لا ينظرون
حق النظر في ذلك فيسرّ الواحد منهم بما يصيبه من النفع ويساء بفوته منه غير عالم بان ذلك النفع
الذي اصابه كان لا بدّ ان يصيبه وان ما فاته منه كان لا بدّ ان يفوته ولو عرف ذلك حق المعرفة
لم يفرح ولم يحزن ولقائل ان يقول هب ان الامور كلها بقضاء وقدر فلم لا ينبغي للانسان ان يفرح بالنفع
وان وقع بالقدر وبيأس بفوته او بالضرر وان وقعا بقدر اليس العريان يساء بقدوم الشتاء وان كان لا بدّ
من قدومه والمحموم عبّا يساء بتجدّد نوبة الحمى وان كان لا بدّ من تجدّدها فليس سلب الاختيار في الافعال
مما يوجب ان لا يسرّ الانسان وكان لا يساء بشيء منها والجواب انه ينبغي ان يحمل هذا الكلام على ان الانسان
ينبغي له ان لا يعتقد في الرزق انه اتاه بسعيه وحركته فيفرح معجبا بنفسه معتقدا ان ذلك الرزق ثمرة حركته
واجتهاده وكذلك ينبغي ان لا يساء بفوات ما يفوته من المنافع لائما نفسه في ذلك ناسبا لها الى التقصير وفساد
الحيلة والاجتهاد لان الرزق هو من الله تعالى لا اثر للحركة فيه وان وقع عندها وعلى هذا التأويل ينبغي ان يحمل
قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير
لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ومن النظم الجيد الروحاني
في صفة الدنيا والتحذير منها والوصاة بترك الاغترار بها والعمل لما بعدها ما اورده ابو حيان في كتاب
الاشارات الالهية ولم يسمّ قائله ٭ وان الفجائع والهموم ودار ٭ البث والاحزان والبلوى مرّ مذاقة
غبّ ما اختلبت منها يداك وبية المرعى ٭ بين الفتى منها بمنزل ٭ اضداد تحت ثراها ملق ٭ تتقوّمسا وبها محاسنها
لا شيء بين النعي والبشرى ٭ ولقل يوم ذرّ شارقه ٭ الا سمعت بهالك ينعى ٭ لا تعتبن على الزمان لما يأتي به
فلقلّما ترضى ٭ للمرء رزق لا يفوت ولو جهد الخلائق دون ان يفنى ٭ يا عامر الدنيا المعدّ لها ٭ ماذا اعددت لدارك
الاخرى ٭ وممهّد الفرش الوطيئة لا ٭ تغفل فراش الرقدة الكبرى ٭ لو قد دعيت لقد اجبت لما ٭ تدعى له فانظر متى
تدعى ٭ اتراك تحصي كم رأيت من ٭ الاحياء ثم رأيتهم موتى ٭ من اصبحت دنياه همته ٭ فمتى ينال الغاية القصوى ٭
سبحان من لا شيء يعدله ٭ كم من بصير قلبه اعمى ٭ والموت لا يخفى على احد ٭ ممن ارى وكانه يخفى ٭ الاصل ومن كلام
له عليه السلام قاله قبيل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله على سبيل الوصية وصيتي لكم ان لا تشركوا بالله شيئا
ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيّعوا سنته اقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم انا بالامس صاحبكم و
اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان ابق فانا ولي دمي وان افن فالفناء ميعادي وان اعف فالعفو لي قربة
وهو لكم حسنة فاعفوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ولا طالع
انكرته وما كنت الا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خير للابرار قال الرضي رحمه الله وقد
مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب الا ان هنا زيادة اوجبت تكريره الشرح لقائل ان
يقول اذا اوصاهم بالتوحيد وباتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله فلم يبق شيء بعد ذلك يقول فيه اقيموا
هذين العمودين وخلاكم ذم لان سنة النبي صلى الله عليه وآله فعل كل واجب وتجنب كل قبيح فما ذا بقي يخاف عليهم
ذمّ فيما ذا ايّهال والجواب ان كثيرا من الصحابة والتابعين كلفوا انفسهم امورا من النوافل شاقة جدا فمنهم

من كان

١٤١

من كان يقوم الليل كله ومنهم من كان يصوم الدهر كله ومنهم المرابط في الثغور ومنهم المجاهد مع سقوط الجهاد
عنه لقيام غيره به ومنهم تارك النكاح ومنهم تارك المطاعم والملابس وكانوا يتفاخرون بذلك ويتنافسون
فيه فاراد عليه السلام ان يبيّن لاهله وشيعته وقت الوصية ان المهم الاعظم هو التوحيد والقيام بما يعلم من
دين محمد عليه الصلوة والسلام انه واجب ولا عليكم بالاخلال بما عدا ذلك فليت من المائة واحدا انهض
بذلك والمراد ترغيبهم في الدين بتخفيف وظائف التكاليف عنهم فان الله تعالى يقول يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر وقال النبي صلى الله عليه وآله بعثت بالحنيفية السهلة السمحة قوله عليه السلام وخلاكم
ذم لفظة يقال على سبيل المثل اي قد اعذرتم وسقط عنكم الذم ثم قسم ايامه الثلثة اقساما فقال انا
بالامس صاحبكم اي كنت ارجى واخاف وانا اليوم عبرة لكم اي عظة تعتبرون بها انا وغدا مفارقكم اكون
في دار اخرى غير داركم ثم ذكر انه ان بقي ولم يمت من هذه الضربة فهو ولي دمه ان شاء عفى وان شاء اقتص
وان لم يبق فالفناء الموعد الذي لا بد منه ثم عاد الذي لا بد منه فقال وان اعف والتقسيم ليس على قاعدة
تقسيم المتكلمين والمعنى منه مفهوم وهو اما ان اسلم من هذه الضربة او لا اسلم فان سلمت منها فانا ولي
دمي ان شئت عفوت فلم اقتص وان شئت اقتصصت ولا اعني بالقصاص هنا القتل بل ضربة بضربة
فان سرت الى النفس كانت السراية مهدرة كقطع اليد ثم اوماء الى انه ان سلم عفا بقوله ان العفو لي ان
عفوت قربة ثم عدنا الى القسم الثالث من القسمين الاولين وهو انه عليه السلام لا يسلم من هذه الضربة فولاية
الدم الى الورثة ان شاؤا اقتصوا وان شاؤا عفوا ثم اوماء الى ان العفو منهم احسن بقوله وهو لكم حسنة
بل امرهم امرا صريحا بالعفو فقال فاعفوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا لفظ الكتاب العزيز وينبغي ان
يكون امره بالعفو في هذه الكلام محمولا على الندب ثم اقسم عليه السلام انه ما فجأه من الموت امر انكره ولا
كرهه فجأني الشيء اتاني بغتة ثم قال عليه السلام ما كنت الا كقارب ورد والقارب الذي يسير الى الماء وقد بقي
بينه وبينه ليلة واحدة والاسم القرب فهم قاربون ولا يقال مقربون وهو حرف شاذ الاصل ومن وصيته
له عليه السلام بما يعمل في امواله كتبها بعد منصرفه من صفين هذا ما امر به عبد الله علي بن ابي طالب امير
المؤمنين في ماله ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويعطيني الامنة الشرح قد عابت العثمانية عليا عليه السلام
وقالت ان ابا بكر مات ولم يخلف دينارا ولا درهما وان عليا عليه السلام مات وخلف عقارا كثيرا يعنون نخلا
فيقال لهم قد علم كل احد ان عليا عليه السلام استخرج عيونا بكدّ يده بالمدينة وينبع وسويعة واحيا بها موتا
كثيرا ثم اخرجها عن ملكه وتصدق بها على المسلمين ولم يمت وشيء منها في ملكه الا ترى ما تضمنته كتب السيرة
والاخبار من منازعة زيد بن علي وعبد الله ابن الحسن في صدقات علي عليه السلام ولم يورث علي عليه السلام بنيه قليلا من
المال ولا كثيرا الا عبيده وامائه وسبع مائة درهم من عطائه تركها ليشتري بها خادما لاهله قيمتها ثمانية وعشرون
دينارا على حسب المائة اربعة دنانير هكذا كانت المعاملة بالدراهم اذ ذلك واما لم يترك ابو بكر قليلا ولا
كثيرا الا انه ما عاش ولو عاش لترك الا ترى ان عمر اصدق ام كلثوم اربعين الف درهم ودفعها اليها وذلك
لان هؤلاء طالت اعمارهم فمنهم من درّت عليه اخلاف التجارة ومنهم من كان يستغل الارض ويزرعها ومنهم
من استفضل من رزقه من الفيء وفضّلهم امير المؤمنين عليه السلام بانه كان يعمل بيده يحرث الارض ويستقي
الماء ويغرس النخل كل ذلك يباشره بنفسه ولم يستبق منه لوقته ولا لعقبه قليلا ولا كثيرا وانما كان صدقة
وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وله ضياع كثيرة جليلة جدا بخيبر وفدك وبني النظير وكان له وادي نخلة
وضياع اخرى كثيرة بالطائف فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذي رواه ابو بكر فان كان علي عليه السلام معيبا بضياعه
ونخله فكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا كفر والحاد وان كان رسول الله صلى الله عليه وآله انما ترك
ذلك صدقة فرسول الله صلى الله عليه وآله ما روى عنه الخبر في ذلك الا واحد من المسلمين وعلي عليه السلام كان في حياته قد اثبت عند

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)